8

ملاحظات هيئة التحرير

سبق لنا أن أجرينا مع لي لانكينغ في اثنتي عشرة مناسبة مجموعة من المقابلات بين شهري تموز/يوليو وآب/أغسطس عام 2003. وعندما نستذكر هذه المقابلات نستذكر معها أقواله . ونحن لسنا بغرباء عن التعليم فقد عملنا في هذا الحقل مدة غير قصيرة، وجميعنا عالج قضايا تعليمية. وقد كتب بعض الزملاء عن «لي» في صحفنا، وأشادوا برؤيته السليمة ونظرته الثاقبة. وهو عندما يتحدث عن موضوع يستشهد بوقائع وأرقام من التاريخ القديم والحديث. كما أنه لا يتردد في التعرض لقضايا تمس سياسات الحكومة وإستراتيجيتها الحكومية، ولبعض المظاهر السلبية التي يراها في المجتمع المعاصر. ومن يستمع إليه لا يملك إلا الإعجاب بثقافته الواسعة ونظرته الثاقبة.

تحدث لي لانكينغ في أثناء هذه المقابلات بصدق عن تجاربه الشخصية ومشاعره شارحاً مفهومه للتربية والتعليم، وكيفية معالجة كُلٍّ القضايا. وفي الوقت نفسه أتاحت لنا هذه المقابلات التي تعرّف شخصيته بوصفه مسؤولاً حكومياً لفهم التحولات الإيجابية التي طرأت على قطاع التعليم تحت قيادته. وقد رأينا من المفيد إضافة هذه الملاحظات لمنفعة القرّاء.

المدرسة الرسمية والمدرسة التقليدية الخاصة

في إحدى المقابلات حدثنا لي لانكينغ عن طفولته وسنواته المدرسية. فقد ولد لي لانكينغ عام 1932 في جين جيانغ إقليم (جيانغسو) وهو من عائلة مثقفة. وكان لجده «وو ديلو» تأثير كبير عليه. وقد عمل «وو» مدرساً في مدرسة تأهيل المعلمين قبل أن يستقر به المقام في جين جيانغ، إذْ استأنف عمله مدرِّساً وعاش بقية حياته فيها، وقد خدم أيضاً مدة قصيرة مديراً للمدرسة الثانوية المحلية. وكان مثقفاً صينياً -بحق- ويجيد كتابة الخط الصيني، إضافة إلى كونه شاعراً، وقد توفي عام 1952. ويقول لي لانكينغ: «عندما بدأت دراستي الابتدائية كانت المدارس الحديثة في الصين في بداية عهدها، وفي أثناء العطلات الصيفية والشتوية كان جدي يرسلني إلى مدرسة خاصة لتلقي العلوم التقليدية، مثل دراسة «الكتب الأربعة» التي تتضمن تعاليم كونفيوشس والمؤلفات الكلاسيكية الخمسة إضافة إلى فن الخط. وقد جرت العادة أن ننحني باجلال كل صباح أمام لوحة خشبية منقوشة تمجِّد كونفيوشس. وأخيراً أنهيت الكتب الأربعة وبقي من الكلاسيكيات الخمس كتاب الأغاني».

«بعد أن احتلت اليابان إقليم (جيانغسو)، أُجبر الطلاب المحليون على تعلّم اللغة اليابانية، وكنا وقتها صغاراً وأذكر أن الناس حينها هبوا للتبرع بالأموال والممتلكات لدعم المقاومة التي تصدت في 13 أب/أغسطس للعدوان الياباني عام1937، على شانغهاي وما تلاه من نهب وتدمير، وذقنا المرارة التي يشعر بها ضحايا الحرب. ولذلك كان تعلم اللغة اليابانية أمراً مزعجاً ومهيناً بالنسبة لنا. بعد ذلك أخرجني جدي أنا وأخي الأكبر وأولاد عمي من المدرسة وحوَّل بيته إلى مدرسة أسماها «مدرسة داساي الخاصة» حيث درَّسنا بنفسه تاريخ الصين، واللغة الصينية، وفن الخط، ثم التحقنا بعد حين بمدرسة رسمية نظامية؛ كي يتسنى لنا الحصول على دبلوم. والواقع أنه في أثناء مدة دراستي الابتدائية والمتوسطة كان لدي الوقت الكافي لدراسة اللغة اليابانية بجدية، لكنني لم أكن أرغب في ذلك لأسباب نفسية؛ ولذلك تحولت إلى دراسة الإنكليزية والفضل في ذلك يعود إلى صديق للعائلة يدعى «ما» كان قد أقام مدة في الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن يعود مع زوجته إلى الصين، وكان «ما» قسيساً في الكنيسة الأنغليكانية، وخلاصة القول: إن زوجته وافقت

على تعليمي الإنكليزية شريطة أن أشارك فرقة الإنشاد كل يوم أحد في ترتيل الأناشيد الدينية في الكنيسة. والواقع أنني كنت أجد متعة في الغناء، واغتنمت هذه الفرصة لتعلم الإنكليزية والتدرب على الغناء في آن واحد.

دَرَسَ «لي» اللغةَ الإنكليزيةِ بهمة مَكَّنَتْه من متابعة دراساته في وقت لاحق، وفي الوقت نفسه تنامى حسه الموسيقي وتذوقه للموسيقا والفن، بَيْدَ أنه لم ينجذب إلى المسيحية.

ابنُ الخمسة عشر ربيعاً طالبٌ في كلية الطب

عندما أنهى (لي لانكينغ) دراسته المتوسطة كانت اليابان قد استسلمت، وكان والداه في ذلك الوقت يعانيان مصاعب مالية مع عائلتهما الكبيرة. ولحسن الحظ افتتحت كلية الطب في (جيا نغسو) شعبة لخريجي المدارس المتوسطة، حيث يتلقى الطلاب فيها تعليمهم الثانوي ومن ثم الجامعي على نفقة الحكومة وكانت النفقة تشمل الطعام والسكن ورسوم الدراسة. وقد تحولت هذه الكلية فيما بعد إلى جامعة نانجينغ للطب.

وهنا أنهى (لي لانكينغ) ذو الخمسة عشر ربيعاً دراسته الثانوية، وأصبح طالباً في السنة الأولى التحضيرية في كلية الطب.

ويتحدث «لي» عن هذه المدة قائلاً: «كان المنهاج الدراسي ثقيلاً جداً، والبرنامج كثيفاً؛ إذ كان يُفترض أن نستكمل دراستنا الثانوية في أثناء 18 شهراً، بالإضافة إلى مواد العلوم الطبية. كانت جل الكتب المعتمدة بالإنكليزية، وكان علينا أيضاً تعلم اللغة الألمانية؛ لأن الكلية كانت ذات خلفية ألمانية».

هنا بدأ «لي» نشاطه في الحركة الطلابية، وهنا تكوَّنت أفكاره التقدمية، وأصبح ناشطاً في التنظيم السري للحزب الشيوعي. ويقول مستذكراً حياته في كلية الطب: «لقد استفدت كثيراً من الكتب الدراسية الأجنبية، خاصة وأنها كانت كتباً مختارة بعناية وكان لتلك الكتب أثر بالغ في جعلنا نتقن اللغات الأجنبية». ولعل في ملاحظته هذه ما يسوّغ تأييده بعد سنين عديدة لاستخدام كتب دراسية أجنبية الأصلية في الجامعات بعد أن أصبح نائب رئيس الحكومة لشؤون التعليم.

أدى الجهد الذي بذله في الكلية وسوء التغذية إلى تدهور صحته. ويروي لي لانكينغ أنه في أثناء العطلة الصيفية بعد سنته الأولى نزل ورفاقه إلى الشارع احتجاجاً على السياسة الرجعية لحكومة «الكومنتانغ»، وتحدّوا الشرطة التي أطلقت النار لتفريق المتظاهرين. وذكر أنَّ الجو يومها كان حاراً جداً، ولإطفاء ظمئه اشترى «لي» شراباً يحوي سكرين وموادَّ اصطناعية. وتبين فيما بعد أن تناوله لهذا الشراب أدى إلى إصابته بداء السل ونتيجة لذلك اضطر إلى ترك المدرسة.

تَبَوُّؤه منصب رئيس التحرير بالوكالة في صحيفة جيا نغسو الجديدة

أراد «لي» بعد أن تماثل للشفاء استئناف دراسته في كلية الطب، لكن غيابه ستة أشهر جعل ذلك غير ممكنٍ. عندئذٍ قرر أن يتابع دراسته الثانوية علماً بأنه كان قد أنهى الجزء الكبير من البرنامج الثانوي؛ ولذلك لم تكن لديه مشكلة في الالتحاق بالمدرسة في منتصف العام الدراسي، وعندما اكتشفت المدرسة الثانوية أنه ترك الكلية قبل أن ينهي دراسته رفضت الأخذ في الحسبان سجله الأكاديمي، ومنعته من التقدم لامتحان القبول، وفي نهاية الأمر سمحت بالتقدم للامتحان والالتحاق بثانوية (جينغ جيانغ) في منتصف العام الدراسي.

كانت ثانوية (جينغ جيانغ) من المعاهد المعروفة في المنطقة (زهين جيانغ)، وكانت هيئتها التدريسية تضم عدداً من المدرسين القديرين والشاهد على ذلك أنهم جميعاً طُلِبُوا للتدريس في كليات نانجينغ وشنغهاي مباشرة بعد التحرير عام 1949. وتجدر الإشارة إلى أن بعض أعضاء هيئة التدريس كانوا منتمين للحزب، ومع تواصل دائم مع «لي» باعتباره طالباً تقدمياً و ناشطاً سياسياً. كانت الثورة في أثناء تلك السنوات تزداد زخماً، وقد تحررت (زهين جيانغ) قبل أن يتسنى لمنظمة الحزب المحلية تثبيت عضوية «لي» في الحزب.

أنهى «لي» دراسته الثانوية في (جينغ جيانغ) في أثناء عام ونصف العام، وكان على وشك التخرج عندما قام جيش التحرير الشعبي بعبور نهر (يانغتزي) وتحرير (زهين جيانغ) و(نانجينغ) من قوات (الكومنتانغ) التي لاذت بالفرار. في هذه الظروف العصيبة كانت الصحيفة المحلية الـ «جيا نغسو دايلي» على وشك إغلاق مكاتبها لكن السلطات الجديدة طلبت من الصحيفة مواصلة عملها ريثما يصل إلى المدينة صحفيو الحزب، وفي الوقت

نفسه طلبت منظمة الحزب المحلية من «لي» وبعض زملائه تولي إدارة الصحيفة وعدم التوقف عن النشر، وعُين «لي» رئيساً للتحرير بصفة مؤقتة. وفي مساء 22 نيسان 1949 احتل «لي» وزملاؤه مكاتب الصحيفة بحماية جيش التحرير.

وبالتعاون مع العاملين في مكاتب الصحيفة استطاعوا إصدار الصحيفة صباح اليوم الثاني، وكان الخبر االرئيس ما يأتي: «في 21 نيسان قامت البارجة [أمهيرست] وثلاث سفن حربية بريطانية أخرى بفتح النار على جنود جيش التحرير الشعبي الذين كانوا يعبرون نهر يانغتزي في اتجاه الجنوب مسببين إصابات في صفوف جيش التحرير الذي رد على النار وأعطب البارجة، أما السفن الثلاث الأخرى فقد لاذت بالفرار».

كان هذا الحدث الأبرز في حرب التحرير، والمواجهة الوحيدة التي حصلت بين جيش التحرير والقوات البريطانية. وعندما وصل صحفيو الحزب في وقت لاحق لتسلم مهامهم عاد «لي» وزملاؤه إلى مدرستهم.

حياته حين كان طالباً في جامعة فودان

بعد تخرجه في الثانوية سأله أحد قادة التنظيم الحزبي المحلي عما ينوي عمله في المستقبل وعرض عليه ثلاثة خيارات: الأول: الانخراط في العمل الحزبي والمشاركة في تأسيس لجنة فرعية لاتحاد الشباب، والثاني: العمل في مكتب الأمن العام، والثالث: متابعة الدراسة على نفقة الدولة.

اختار (لي) العرض الثالث، والتحق بجامعة (فودان) في مدينة شنغهاي حيث تخصص في إدارة الأعمال. وشارك في أثناء دراسته الجامعية في عدة لجان وأنشطة طلابية، وقد انتخب نائباً لرئيس اتحاد الطلاب، ورئيساً لقسم الثقافة الشعبية.

تحدث «لي» عن سنواته في جامعة (فودان) قائلاً: «بالرغم من أن تخصصنا كان في إدارة الأعمال، فقد كنّا في حقيقة الأمر ندرس التجارة والصناعة والإدارة في آن واحد. وكان في القسم ورشة عمل، وفيها تعلمت الخراطة والتجليخ والنجارة، وأصبحت أتقن استخدام المعدات الصناعية. وفي أثناء الثورة الثقافية (1966 - 1976) كنت أحد المسؤولين عن إدارة مصنع السيارات الثاني (قسم المحركات).

إن المعرفة والخبرات التي تراكمت لدى «لي» في أثناء سنوات دراسته وبعدها أَهَّلَتْهُ للقيام بدور قيادي. وفي معرض حديثه عن مساعيه في مجال الإصلاح الإداري في أثناء التسعينيات من القرن الماضي، أشار إلى نجاحه في دمج المعهد الهندسي لصناعة الحرير في (سوجو) مع جامعة (سوجو) ليصبح جزءاً من الجامعة. وبالرغم من أن كلتا المؤسستين أبدتا تحفظاً باعتبار أن هذا لن يكون سهل التطبيق، فقد استطاع «لي» إقناع الطرفين بصواب هذه الخطوة مستنداً إلى خبرته الطويلة في القطاع الصناعي - في صناعة بناء الآلات. وحياة (لي) المهنية حافلة بأمثلة كثيرة من هذا القبيل.

الارتباط الدائم بصناعة السيارات

في عام 1952 - العام الذي تخرج فيه «لي» في جامعة (فودان) - قررت الحكومة إنشاء أول مصنع وطني للسيارات، وكان «لي» أحد الخريجين الجامعيين الذين أرسلوا إلى (تشانغ تشون) لهذه المهمة. وكانت تلك بداية مشاركته في إرساء الأساسس لصناعة سيارات في الصين. انطلق المشروع عام (1953)؛ أي في أول سنة من الخطة الخمسية الأولى (1953-1957) للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وانتهى العمل ببناء المصنع عام 1956. وقد بدأ أولاً بإنتاج شاحنات، وفي عام 1958 أُنتجت أوّلُ سيارةٍ صينيةٍ أُطلق عليها اسم «ريح الشرق» وقدمت هدية إلى الحكومة المركزية بمناسبة انعقاد الدورة الثانية للمؤتمر القومي الثامن للحزب.

وقد بُنِيَ هذا المصنع تحت إشراف خبراء من الاتحاد السوفييتي، وتم استخدام وتكنولوجيا وإدارة روسية. وأُوفد بعدها 500 عامل وموظف على دفعات لتلقي التدريب في الاتحاد السوفييتي في مصانع السيارات في «غوركي» و«ليغاتشيف»، وعادوا بعد انتهاء تدريبهم الميداني ليعملوا تقنيين ومديري إنتاج في مصانع السيارات الصينية. وكان «لي» أحد الأفراد الذين أوفدتهم الدولة لهذا الغرض، وفي أثناء إقامته في الاتحاد السوفييتي بين عامي 1956 و1957، عمل رئيساً لورشةٍ، وكان خير معين لزملائه في الورشة. وقد أنهى «لي» تدريبه بنجاح، وأسهم في توثيق عرى الصداقة بين الشعبين الصيني والسوفيتي.

دونغ شاوبينغ في الأمام إلى يمين الصورة، ووبينغ شن وسط الصورة، وهما يتفحصان أول سيارة من إنتاج أول مصنع للسيارات في الصين، وإلى يمين بينغ شن يقف الشاب لي لانكينغ وزملائه، عام 1958

شارك «لي» في السبعينيات في إنشاء المصنع الثاني للسيارات وفي إرساء الأسس لبناء مصنع ثالث. وعندما شغل فيما بعد مركزاً قيادياً في مجلس الدولة ومسؤولاً عن صناعة السيارات أشرف على وضع أول خطة لتطوير صناعة السيارات، وأصبح اسمه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهذا القطاع الصناعي الذي أسهم في إرساء دعائمه.

شغفه بالترجمة واللغات

من المعروف عن «لي» حبه لتعلم اللغات الأجنبية وهو ملم باليابانية والألمانية. ولكنه يتقن الإنكليزية والروسية. وقد ألقى عدة خطابات بالإنكليزية والروسية في كثيرٍ من المحافل الدولية. ومن الطبيعي أن يدعو لاهتمام أكبر بتعليم اللغات الأجنبية في بلده، وقد بذل الكثير من المساعي في هذا الشأن، وهو كثيراً ما يستخدم الإنكليزية في مقابلاته.

وحول هذا الموضوع يقول: «عندما كنت طالباً في كلية الطب في (جيانغسو)، وقبل ذلك في الثانوية، استفدت كثيراً من دراسة الرياضيات والجغرافية والفيزياء والكيمياء فقد كانت باللغة الإنكليزية، ولم يكن هناك سوى كتاب واحد باللغة الصينية، وهو كتاب علم

الأحياء. ولقد كانت تلك الكتب الدراسية رائعة حقاً والفضل في ذلك يعود للمؤلفين. وأذكر أنني تأثرت بصورة خاصة بمدرس الجغرافيا الذي كان ضليعاً في اللغة الإنكليزية ومجتهداً في عمله. وقد كان يقيم في الحرم الجامعي، وكنا نراه يومياً منكباً على مكتبه. كان هذا الرجل يحفظ عن ظهر قلب كل صفحة من صفحات قاموس أوكسفورد الذي كان يقرأه كل صباح مما دفعني إلى الاقتداء به فصرت أضع قاموساً إنكليزياً / صينياً على مكتبي كي أستطيع على الفور الرجوع إليه كلما وقعت على كلمة جديدة. ويقيني أن ذلك يرسِّخ معنى الكلمة في الذاكرة.

اعتاد «لي» عدة سنوات الاستماع للأخبار صباح كل يوم في الساعة 6.30 ولإذاعة الصين الدولية التي تبث برامجها باللغة الإنكليزية في السابعة صباحاً. ولقد بقي «لي» لعدة سنوات يستخدم الـ «ووك مان» في طريقه للعمل لتعلم الإنكليزية ولكنه أقلع عن ذلك بعد أن تبين له أن هذه الطريقة تؤذي السمع.

تعلم «لي» الإنكليزية في أثناء دراسته الثانوية والجامعية وعندما بدأ يعمل عند بدء تنفيذ الخطة الخمسية الأولى (1953-1957)، فرضت الدول الغربية عقوبات على الصين، وكان عمله يقتضي تعلم الروسية التي أتقنها إلى حد ما، ويقول «لي» في هذا الشأن: «بعد إنشاء أول مصنع للسيارات قررت إدارة المصنع أنه يجب علينا أولاً تعلم اللغة الروسية، واعتمدت لهذا الغرض كتاباً لتعليم اللغة الروسية أعدته جامعة تسينغهوا. كان الكتاب مفيد جداً بوصفه مدخلاً لدراسة اللغة الروسية. وبعد دراسة قواعد اللغة بدأنا نترجم بعض الكتب والنشرات الدورية، والمراجع من الروسية إلى الصينية مستعينين بالمعاجم إلى أَنْ صرنا نترجم بسرعة متزايدة. والوقع أن جلّ كتبي ومقالاتي المترجمة إلى الصينية صدرت في أثناء تلك المدة. كنت أسجل الكلمات الصعبة ومعانيها بالصينية على ورقة صغيرة وأضع الورقة في جيبي وأُراجعها بين الحين والآخر إلى أن ترسخ في ذاكرتي. وبعد أن أصبحت على دراية بقواعد اللغة الروسية ومايكفي من المفردات، شرعت في قراءة الأعمال الأصلية، ومن ثَمّ ترجمتها إلى الصينية، وقد ساعدني هذا على فهم قواعد اللغة وتركيب الجمل، ولعل هذه طريقة جيدة لتعلُّم أي لغة».

وظف (لي) مهاراته اللغوية في خدمة بلاده في أثناء حياته المهنية، واضطر في أكثر من مناسبة إلى القيام بدور مترجم. ولقد كانت أول تجربة له في الاتحاد السوفييتي عام1956، إذْ استدعاه مدير المصنع ذات يوم وقال له: «سيزورنا مسؤول صيني رفيع المستوى، حبذا لو تفضلت بالترجمة له ولنا» ففعل.

أمّا تجربته الثانية فكانت في عام1957، حين وصل وفد صيني إلى موسكو للمشاركة في مهرجان الشباب العالمي السادس، وشاءت الظروف أن يكون (لي) موجوداً في موسكو آنذاك. ونظراً لعدم توافر مترجمين دعاه راعي المهرجان مع طلاب صينيين آخرين للعمل مترجمين للوفد الصيني.

وعندما قدم وفد من الخبراء الروس في زيارة عمل إلى الصين تضمن برنامجهم إلقاء سلسلة من الدروس والمحاضرات والاجتماع ببعض كبار الرسميين، ولما كان أفراد البعثة يجهلون اللغة الصينية تولى «لي» مهمة الترجمة.

المؤلف في أثناء مراسم منحه لقب «أستاذ فخري» من قبل جامعة موسكو في مؤتمر حضره 700 رئيس جامعة من مختلف أنحاء روسيا، في 6 كانون الأول / ديسمبر، 2000

والحق أن المترجم الرسمي المعين لهذا الغرض كان يتقن الروسية غير أن معرفته للمصطلحات والتعابير الفنية كانت محدودة. وقد تبين ذلك حين أحس أحد الخبراء الروس

أن المستمعين لا يفقهون ما يقول، وطلب من «لي لانكينغ» أن يتولى بنفسه الترجمة، ففعل ما طُلب منه بأسوبه السلس الذي أثار إعجاب الحاضرين. وقد طلب منه الخبراء فيما بعد التعاون معهم على إعداد الدروس والمحاضرات وصياغتها على نحوٍ يألفه الصينيون. وكانت تلك تجربته الثالثة.

أما تجربته الرابعة بوصفه مترجماً فكانت في بداية مسيرة الإصلاح والانفتاح حين كان «لي» يعمل في اللجنة الإدارية للاستثمارات الخارجية وكان في يومها مسؤولاً عن القروض الأجنبية، بما في ذلك القروض التي يمنحها البنك الدولي. وذات يوم وصل خبير باكستاني إلى شنغهاي للتباحث مع الجهات المعنية؛ وليشرح للمسؤولين طبيعة عمل البنك الدولي، وعما يتعين على الدول النامية فعله للحصول على قروض ميسَّرة دون فائدة. وكان من المقرر أن يلقي هذا الخبير محاضرة عن هذا الموضوع. ونظراً لأهمية هذه المحاضرة طلب «لي» اختيار مترجم جيد لهذا الغرض، واطمأن باله عندما علم أن المترجم الذي تم اختياره قد درس في بريطانيا وعمل فيها عشر سنوات. وبالرغم من أن الرجل كان يتكلم الإنكايزية بطلاقة إلا أنه لم يكن ملماً بالأمور المالية ومفرداتها التقنية. وفي حين كان الخبير يلقي محاضرته بدا واضحاً أن جمهور المستمعين لم يفقه شيئاً مما يقوله المترجم الصيني. ولحسن الحظ كان «لي» في أثناء المحاضرة قد سجل أبرز النقاط التي ذكرها المحاضر. وبعد انتهاء المحاضرة نهض «لي» وقرأ على الحضور فحوى المحاضرة لِلُّغَة الصينية.

كان «لي» يشدد على ضرورة أن يكون لدى طلاب اللغات الأجنبية ثقافة عامة تتجاوز معرفتهم لِلُّغَة التي يدرسونها.

طالب علم لايشبع

كان (لي لانكينغ) في سن الحادية والعشرين عندما تخرج في الكلية وباشر العمل في أول مصنع للسيارات في (تشانغ تشون). وقبل أن يبلغ الثلاثين كانت قد نُشرت له عدة أعمال مترجمة. وبعد عودته من الاتحاد السوفييتي عام 1957 عمل باحثاً زائراً في معهد

الاقتصاد التابع لجامعة الشعب شمال شرق الصين. وقد لاقت محاضراته استحسان الطلاب. ومنذ اليوم الأول لمزاولته مهنته لم يتوقف عن الكتابة والترجمة، وقد نُشرت له مقالات وأعمال مترجمة عديدة في الصحف والنشرات الدورية لفتت انتباه الخبراء والباحثين.

لا يتوقف «لي» عن طلب العلم والدراسة وتشمل دراساته تاريخ الصين والبلدان الأخرى بما في ذلك الاقتصاد، والعلوم والتكنولوجيا. ويعلق على ذلك بالقول: «كلما تقدم بي السن شعرت بحاجتي لتعلم المزيد». والجدير بالذكر أنه في عام 1993 نَظَّمَ دورات (تثقيفية) لكبار الموظفين والعاملين في الدولة، وكانت المحاضرات مختصة بالتمويل والاقتصاد والتاريخ والتكنلوجيا وموضوعات أخرى.

يرى «لي» أننا يجب أن نتعلم من تجارب التاريخ الذي يحمل في طياته الحلول لمشكلاتنا الحالية ويقول في هذا الشأن: «إن التاريخ تجربة مستمرة ودروس يتغذى بها الفكر الإنساني»، ويضيف قائلاً: «إن دراساتي عن الإصلاح المالي والنظام الضريبي إبان حكم أباطرة كينغ في القرنين السابع والثامن عشر قد عززت ثقتي بأن الإصلاح الذي نقوم به يسير في الاتجاه الصحيح.

شخصية متعددة الأدوار

يقول لي لانكينغ: «أنا مهتم بموضوعات كثيرة ومتنوعة، وهناك الكثير من الأشياء التي أتوق لتعلمها، ولا أتردد في طرح الأسئلة عندما أقع على أشياء وأمور لا أفهمها، وفي هذه الحالة يجب أن أعود إلى جذور الموضوع»

ومن جملة اهتمامات «لي» وهواياته المطالعة وتصميم الأدوات، وقيادة السيارات وفن الخط، ونقش الأختام والموسيقا والسباحة والتنس، ولعب البريدج والرياضة البدنية؛ لكن انشغاله الدائم قبل تقاعده لم يسمح له بممارسة هواياته إلا نادراً.

و«لي» من عشاق الموسيقا والغناء منذ طفولته، وهو يعزف البيانو، وسبق له أن ألف عدة أغانٍ وهي هواية يمارسها منذ أن كان شاباً يافعاً. وقد كرّس أغنيته [أغنية البراعم]

للمعلمين بمناسبة انعقاد المؤتمر الوطني للتعليم عام 1999. وقد اعتمدت وزارة التربية هذه الأغنية فيما بعد. ودرس «لي» الموسيقا بشيء من العمق، وقد نالت مقالاته عن تاريخ الموسيقا وسيرة حياة الموسيقيين تقدير الخبراء. وفي حفلة لخريجي مدرسته الثانوية مَثَّلَ الدور الرئيس في مسرحية درامية.

المؤلف مع زوجته في مكتبه داخل منزله

تعلم «لي» فن كتابة الخط الصيني بأشكاله المتنوّعة على يد جده لأمه، وكان الشكل المفضل لديه الشكل الذي يُعزا إلى هوانغ تين جيان في أثناء الحقبة 1045م - 1105م.

ومن أولى هواياته صناعة الأختام، وقد عاد إلى ممارسة هذه الهواية بعد تقاعده. ويمتلك «لي» نظرة ثاقبة وقوة ملاحظة تفوق المعتاد، فعلى سبيل المثال لفتت انتباهه الطحالب التي تنمو بين الشقوق التي تفصل السطوح الإسمنتية في محيط تكاد تنعدم فيه مقومات الحياة وفي الوقت نفسه تبدو هذه الأعشاب محصنة ضد الحشرات والطفيليات. وهذا جعل «لي» يتساءل: ما لذي يُبقي هذه الطحالب حية؟ وهل يمكن عزل جيناتها واستخدام خصائصها الفريدة في تطوير محاصيل زراعية معدلة وراثياً؟ وقد عرض «لي» الموضوعَ على بعض الباحثين لدراسته.

من المعلوم أن المناطق الشمالية في الصين تعاني من شح الأمطار. مما دفع «لي» إلى ابتكار جهاز متنقل لري المحاصيل يمنع هدر المياه. وقدم تصميمه الأولي إلى معهد تطوير المعدات الزراعية لتجربته. والجهاز يُستخدم حالياً في عدة أماكن بعد إجراء بعض التعديلات عليه من قبل أحد الأساتذة في جامعة الشمال الغربي للعلم والتكنولوجيا الزراعية.

ومن ابتكاراته الأخرى جهاز كهربائي صغير لتدليك القدمين يستطيع الموظفون استخدامه بسهولة، لا سيما أولئك الذين يجلسون لساعات طويلة وراء مكاتبهم. وقد خطرت له الفكرة بعد أن قرأ عن أن العلاج بالوخز بالإبر في نقاط محددة في أخمص القدمين له تأثيرات إيجابية على أعضاء الجسم. وقد صنع عدداً من هذه الأجهزة وقدمها هدية لبعض رفاقه من العاملين معه. والجدير بالذكر أنه طور منذ عهد قريب جهازه بإضافة محرك صغير جداً بحيث يستطيع المرء تشغيله وإيقافه بلمسة من قدمه. ولا يزال «لي» يسعى إلى تحسين جهازه بالتعاون مع مخبريين في جامعة تسينغهوا طامعاً في أن يطوره بعد استشاره مختصين في الطب. ويرى «لي» أنه لا يمكن للإنسان أن يمارس عمله من الصباح حتى المساء بصورة متواصلة دون الاسترخاء من حين إلى آخر. ويضيف قائلاً: «إني أعد هذه الأشياء بمنزلة هوايات أمارسها للاسترخاء والمتعة بعد العمل».

يرى «لي» أن جهازالتخطيط الكهربائي للقلب (جهاز هولتر) المستخدم حالياً في المستشفيات كبير الحجم وغير عملي، والبديل في رأيه هو استخدام رقائق إلكترونية لتصغير حجم الجهاز، بحيث يمكن أن يوضع في جيب قميصٍ عاديٍّ. وقد سعى منذ عام 1996 إلى لفت نظر الجهات المختصة في بعض الجامعات إلى ضرورة تطوير جهاز جديد، وكانت جامعة(زهي جيانغ) أول من بادر لإنتاج واستخدام الجهاز الجديد في مشفى كلية الطب وتم بعدها إرسال جهازين مماثلين إلى مشفيين في(بكين) لتجربتها. ولدى زيارة له في عام 2003 لإحدى المشافي لإجراء فحوصات طبية لاحظ أن المشفى المذكور يستخدم جهازاً أمريكياً لا يختلف ظاهرياً عن مثيله الصيني، وعندما سأل عن سبب عدم اختيار المشفى للجهاز الصيني قيل له: إن الجهاز الأميريكي أفضل من حيث التصميم وجودة الصنع. عندئذٍ كتب رسالة إلى مدير جامعة زهي جيانج طالباً منه نقل ملاحظاته إلى الجهة المعنية.

وفي مقابلة أخرى حدثنا «لي» عن فكرة راودته تتلخص في ابتكار وسيلة تتيح لقائد الأوركسترا أو عازف البيانو أن يقرأ صفحات النوتة دون الحاجة إلى تقليب الصفحات بنفسه، الأمر الذي قد يشتت تركيزه. وتساءل عن إمكانية استخدام الحاسوب وبرمجيات تجعل النوتة الموسيقية تظهر على شاشة إلكترونية كبيرة لا تحوج قائد الأوركسترا أو العازف إلى قلب الصفحات وهي فكرة بسيطة وقابلة للتطبيق. وقد طرحت الفكرة على بعض الخبراء في هذا الميدان فقاموا بكتابة برمجيات تُظهر صفحات النوتة على شاشة قبالة قائد الأوركسترا والجمهور. علماً أن بعضهم كان يرى أن تقليب الصفحات يدوياً هو تقليد راسخ لا يصح تغييره. وقد ذكرني هذا بـ ريتشارد واغنر مبتدع الموسيقا الدرامية وصاحب فكرة جعل موقع الأوركسترا في مكان منخفض أمام خشبة المسرح. ولهذا الموسيقار ابتكارات أخرى أَدَّتْ دوراً كبيراً في تطوير الأوبرا، وأضحت اليوم تقليداً راسخاً، علماً أنها واجهت في حينها معارضة شديدة من قبل المحافظين.

التحضير لترشح الصين لاستضافة الألعاب الأولمبية

لا شك أن الألعاب الأولمبية تغذي روح الانتماء إلى الوطن، وتعزز الصداقة والتعاون الثقافي بين الشعوب، وتحفظ السلام العالمي. وفي تموز/يوليو من عام 2001 ترأس لي لانكينغ الوفد الذاهب إلى موسكو لتقديم طلب الصين استضافة الألعاب الأولمبية في عام 2008. ويروي «لي» تجربته على النحو الآتي:

«عندما كلفتني الحكومة المركزية بترؤس الوفد قال لي بعض الزملاء: «إن هذه المهمة التي أُلقيت على عاتقك ليست بالمهمة السهلة والنتائج غير مضمونة». وقد كان الوضع الذي رأيته أنَّ أعضاء الوفد في حالة قلق خشية ألا تحرز الصين العدد الكافي من الأصوات وأَنَّهم خائفون من عودتهم إلى وطنهم خائبين. وأذكر أنني قلت لهم: «أعلم أنكم قلقون ومتوترون ولكن اسألوا أنفسكم هل سنكون أبطالاً قوميين في حال لو فازت الصين بالترشيح؟ لا أعتقد ذلك. إذا استطعنا الفوز فسيكون ذلك بفضل إمكانياتنا الكبيرة ومكانة الصين الدولية وسمعتها. واللجنة الدولية لن تصوت لنا أو لغيرنا بوصفنا أفراداً وإنما ستصوت لصالح الصين أو لغيرها من الدول؛ ولذلك طلبت من أعضاء الوفد ألا يبدوا تخوفهم؛ كي لا يعطوا

المؤلف يقدم أمام اللجنة الدولية عرض الصين لاستضافة الألعاب الأولمبية في 2008 في الدورة 112 للألعاب الأولمبية في موسكو 13 تموز/يوليو، 2001

انطباعاً سيئاً، وأن يتجنبوا كثرة الكلام قبل قراءة بياننا الترشيحي؛ لأن كثرة الكلام في نظري قد تضر أكثر مما تنفع.

وقبل البدء بالتصويت، جلست في سفارتنا في موسكو أستمع إلى التقارير وأحللها في حين كان رجال الصحافة يطاردونني في كل مكان. وفي نهاية الأمر أُخْتِيرَتْ الصين من بين المرشحين لاستضافة الألعاب الأولمبية، ولقد كان فرح الجماهير عظيماً. وفي اليوم نفسه اتصل بنا الرئيس جيانغ زيمين مهنئاً، وأخبرني أن الاحتفالات قد بدأت في بكين، وطلب مني أن أنقل شكره لجميع أعضاء الوفد والأصدقاء من البلدان المختلفة الذين دعموا ترشحنا لاستضافة الألعاب الأولمبية».

وما إن شاع النبأ حتى غَصَّتْ السفارة الصينية في موسكو بالزائرين، وفي طليعتهم موظفو السفارة والطلاب الصينيون الذين يدرسون في موسكو، والعاملون في منظمات صينية في موسكو، والصينيون في المهجر، والمواطنون الروس من أصول صينية، والمواطنون الذين رافقوا الوفد، وفي الاحتفالات التي أعقبت إعلان النتيجة غَنَّى الناسُ ورقصوا

المؤلف وبجانبه جورج كيلين أثناء مراسم الجلسة الختامية للاتحاد العالمي للرياضة في الجامعات (FISU) في بكين، 1 أيلول/سبتمبر 2001

مطلقين الشعارات. ومن شدة تأثره لم يستطع «لي» تمالك نفسه وهو يقف أمام الميكرفون فقد صَاح: «فليحيا الوطن الأم، فلتحيا الأمة، فليحيا الحزب الشيوعي الصيني».

العناية باللياقة البدنية والعقلية

«إن ممارسة الرياضة على نحوٍ صحيح يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، ففوائدها لا تقتصر على الناحية البدنية فحسب وإنما تَشْمَلُ الناحية المعنوية والروحية وإذا لم تمارس على نحوٍ صحيح فقد تؤدي إلى مفعول عكسي». هذا هو مفهوم لي لانكينغ للرياضة والتربية البدنية. و«لي» من محبي الرياضة وسبق له أن كُلف بملف الرياضة والتربية البدنية في أثناء خدمته العامة. ويقول في هذا الشأن:

«إن على المرء ألاَّ يهمل ممارسة الرياضة وأن يخصص بعض الوقت للقيام بتمارين أو أنشطة رياضية مهما كثُرت أشغاله. وقد نظن أننا نستطيع الاستغناء عن الرياضة في مطلع شبابنا لكن الوضع سيتبدل حتماً مع تقدمنا في السن.

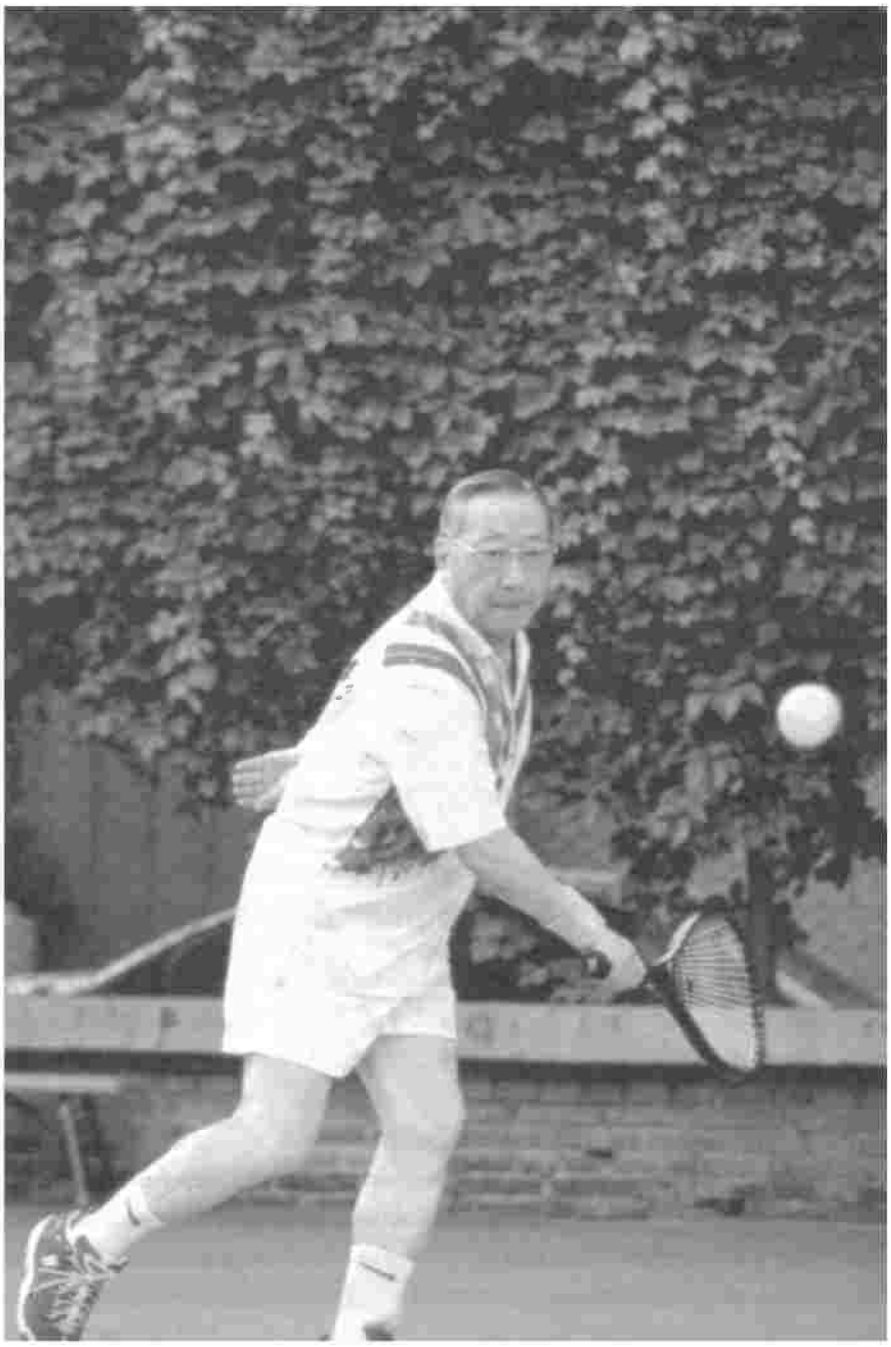

لقطة للمؤلف في أثناء ممارسته لرياضة كرة المضرب

ما من شك أن التمارين الرياضية تمكِّننا من التفكير والدراسة بطريقة أفضل، وأنا أدعو المسنين بصورة خاصة إلى ممارسة الرياضة واختيار التمارين المناسبة لهذا الغرض. لقد أصبح مرض الزهايمر (خرف الشيخوخة) وفرط ضغط الدم الشرياني وأمراض القلب والسكري وغيرها من الأمراض الشائعة التي تقلق المجتمع الصيني. فالإنسان عندما يمرض لا يعاني وحده بل تعاني أيضاً عائلته والمؤسسة التي يعمل فيها. لذلك أقول: إن علينا الاعتناء بصحتنا البدنية والذهنية، وأن نبقى دوماً متفائلين؛ لأننا بذلك نسدي خدمة لأنفسنا ولأحبائنا وللمؤسسات التي نعمل فيها. ويجب أن نسعى دوماً للعيش بطريقة صحية في حياتنا اليومية».

و«لي» من الأشخاص الذين يستمتعون بممارسة الرياضة، وقد حافظ على لياقته البدنية والذهنية السباحةُ وقد مارس السباحةَ طوال حياته ويعتبرها رياضته المفضلة. واعتاد في طفولته أن يسبح في الأنهار بصحبة أصدقائه. وفي بداية الستينيات شارك «لي» في مسابقة للسباحة جرت في بحيرة (بايي) حيث سبح مسافة 5000 متر.

ومن هواياته الأخرى التنس (كرة المضرب) وهي رياضة يمارسها منذ سنوات عديدة. ويتحدث «لي» عن لعبة التنس قائلاً: «إن فائدة هذه اللعبة تكمن في أن جسد اللاعب يبدأ بعد مدة قصيرة لا تتجاوز نصف الساعة، وهو شيء صحي. ثم إن تقدمي في السن لا يسمح لي بممارسة الألعاب أو التمارين الرياضية الشاقة. وقد نصحني الطبيب بممارسة السباحة ولعب التنس. وبعد أن تقاعدت أصبح لدي الوقت الكافي للعب التنس وممارسة السباحة، والواقع أنني أسبح أسبوعياً مسافة 1000 متر.

«وفي الوقت نفسه أحافظ على نشاطي الذهني بلعب «البريدج» التي تعلمتها حين كنت أدرس في الجامعة. لكن ضيق الوقت قبل أن أتقاعد لم يتح لي اللعب إلا فيما ندر. لكنني أعتقد أنها لعبة تناسب الجميع الشباب والشيوخ على حد سواء، فهي تنشط الذهن؛ لأنها تجمع بين المنطق والتفكير الإبداعي، واستخدام الذاكرة وشيء من الذكاء. إنها لعبة حضارية تحكمها قوانين تمنع الغش. والفوز فيها غالباً ما يكون للفريق الأكثر حنكة، وليس لها صلة بالمقامرة بمعنى الاتكال على الحظ وهذا ما جعلها تستهوي الكثير من المثقفين».

رجل يؤمن بالأفعال قبل الشعارات

عمل «لي لانكينغ» في ميدان الاقتصاد لأربعة عقود وفي التعليم لعقد واحد، وبصفته نائب رئيس الحكومة في مجلس الدولة، شملت مسؤولياته الإشراف على عدة قطاعات منها: المال والنظام الضريبي والتجارة الخارجية والصناعات الخفيفة والثقيلة وقطاع التعليم والتكنولوجيا والصحة العامة والتربية البدنية والصحافة والنشر. وجدير بنا أن نستفيد من تجاربه الغنية في أثناء السنوات التي أمضاها في خدمة الدولة.

صرح «لي» في مناسبات عدة بأن على الشيوعيين عدم الاكتفاء برفع الشعارات وإنما بتطبيقها قدر الإمكان. وهو يؤمن بأن الأفعال وحدها هي التي تؤدي إلى نتائج ملموسة. والشاهد على ذلك ما استطاع «لي» أن ينجزه بفضل أسلوبه «البراغماتي» في معالجة الكثير من القضايا وفي طليعتها مشكلات الإدارة التعليمية والمصاعب التي يواجهها الطلاب والمدرسون على حد سواء، وقد كان دوماً واقعياً وعمليا في أُطْرُوحَاته ومعارضاً للكلام والشعارات التي لا طائل تحتها.

عدم التخلي عن «سيف الإمبرطور»

في أثناء السنوات العشر التي كان فيها مسؤولاً عن شؤون التعليم كان «لي لانكينغ» العقل المدبّر وراء عدد من الإصلاحات شملت الإدارة المالية وأوضاع المعلمين والطلاب وأحوالهم المعاشية وتأمين السكن لهم. وقد اضطر لمواجهة تحديات صعبة بدت مستحيلة الحل، لكنه نجح في تذليل العقبات التي واجهته في غضون عشر سنوات، فما سر نجاحه؟ يجيب «لي» عن هذا السؤال بالقول:

« لقد أنجزت ما أنجزته باستخدام «سيف الإمبرطور» وأقصد بهذه العبارة الصلاحيات والسلطات التي منحتنني إياها الحكومة المركزية». وأضاف قائلاً: «إن كل إجراء اتخذتهُ كان وفق الإستراتيجية التي رسمتها الدولة لتحقيق نهضة شاملة في قطاع التعليم في إطارالقوانين والأنظمة وقرارات مجلس الدولة. إن المبادئ والسياسات ستبقى حِبْراً على ورق إذا لم نطبقها بجدية بعد دراسة متأنية للظروف الموضوعية والواقع المُعَاش. أما إذا

سمحنا للبيروقراطية بعرقلة مسيرة الإصلاح وتحول الأمر إلى مجرد عقد اجتماع تلو الاجتماع، فلن نتمكن من تطبيق السياسات التي اعتمدتها الدولة، وستبقى هذه السياسات مجرد وثائق لا قيمة لها».

اغتنام الفرص في ظروف معينة وفي الوقت الملائم

إن اغتنام الفرص في الوقت الملائم هو مبدأ آخر من مبادئ «لي لانكينغ». ويرى بوجوب عدم تفويت أي فرصة إذا كانت تخدم مشروع الإصلاح. فعلى سبيل المثال تمكن «لي» من تحقيق إصلاحات جذرية في إدارات الجامعات ومؤسسات البحث العلمي مغتنماً الفرصة التي أتاحتها له التعديلات الكبيرة التي أجرتها الحكومة في عام 1998، حين ألغى مجلس الدولة عشر وزارات وهيئات عامة، وترتب على ذلك تداعيات طالت بعض الجامعات. وهنا استغل «لي» هذه الظروف لجعل هذه الجامعات تخضع للإدارات المحلية وتوجيهات السلطات الإقليمية والمركزية. وقد حاز هذا الإجراء على رضا الجامعات والمناطق المعنية. وفي الوقت نفسه قام «لي» بتحويل 240 معهداً للأبحاث العلمية التطبيقية إلى مؤسسات صناعية في مجال التقنيات العالية لمعاهد الأبحاث كانت تتبع سابقاً الهيئات التي تم إلغاؤها. بعد قرار مجلس الدولة بتوسيع الجامعات لاستيعاب المزيد من الطلبة استصدر «لي» قراراً يسمح بترك شركات خاصة تتعهد بتقديم الخدمات اللوجستية في الجامعات. وقد أدى هذا الإجراء إلى تخفيف الضغط على الخدمات نتيجة لتزايد أعداد طلاب الجامعات. وفي الوقت نفسه أصبحت هذه الخدمات أفضل من ذي قبل.

رجل يتطلع إلى المستقبل ويكره الجدل الذي يعيق مسيرة التقدم

عندما شرعنا بإصلاح نظام التعليم العالي اقترح بعض الزملاء أن نبدأ أولاً بتحديد الجوانب السلبية في النظام الحالي، لكن «لي» عارض هذا الرأي بشدة ونجح في إقناع زملائه بالنظر إلى المسألة من وجهة نظر الفلسفة الماركسية [المادية التاريخية] لتحديد المسار الصحيح الذي ينبغي اتباعه. وحول هذه النقطة يقول «لي»: «إن السبب الرئيس الذي يجعلنا نزعم بأن الحزب الشيوعي الصيني يتحلى بالنضوج السياسي هو قدرتنا

على الموازنة بين إرثنا الحضاري والتاريخي من جهة ومتطلبات التطوير والتحديث من جهة أخرى مستهدين بالنظرية الماركسية القائمة على المادية التاريخية والمادية الجدلية. فالإنجازات التي تحققت في أي حقبة تاريخية محدودة المفعول.

يجمع الكل على أن الإصلاحات التي نقوم بها تسير في الاتجاه الصحيح، ولكن نهجنا اليوم قد يبدو مبهماً من وجهة نظر الأجيال القادمة. هل يعني هذا أن نشكك في جدوى الإصلاحات التي تحققت أو التي نسعى لتحقيقها؟، إن الجدل الذي لا مبرر له يعرقل عملية الإصلاح، وخيارنا الوحيد هو حل مشكلاتنا عبر قراءة الواقع بعقلانية. وواجبنا يقضي أن ننجز اليوم ما يمكننا إنجازه على أكمل وجه في ظل الظروف الحالية وأن نسعى في الوقت نفسه لاستقراء المستقبل».

يعارض «لي» الترويج الإعلامي المفرط لما يُفترض أن يحققه الإصلاح من منطلق أن الإصلاح مشروع متواصل والتجربة والممارسة هما السبيل الوحيد لمعرفة أين أخطأنا وأين أصبنا؟ ويرى أنه ليس من الحكمة المغالاة في خطاباتنا؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى مشكلات نحن في غنى عنها. ويضيف: «أنا لا أخشى الانتقاد، ولا أتخذ أي إجراء قبل دراسة الوضع وتقصّي الحقائق. وأرحب دوماً بالانتقادات وخاصة إذا كانت مصحوبة باقتراحات بناءة. وليت الذي يخالفني الرأي يطرح البدائل. وهذا هو النقد الذي أقدره وأحترمه».

يعتقد «لي» بضرورة تجنب النقاشات التي لا مبرر لها. ويرى أنه من الطبيعي أن تختلف وجهات النظر ولكن تشبث كل امرئ برأيه قد يؤثر سلباً على سير العمل.

رجل منضبط في تنفيذ سياسات الحكومة وحريص على المال العام

في أثناء خدمته في مجلس الدولة لم يوقع «لي» مطلقاً على أوامر تقضي بصرف مبالغ مالية لهذه الجهة أو تلك، وقد أسر لنا أنه في أثناء زيارة تفقدية لمدرسة ابتدائية في مقاطعة «يونان» لم يستطع كتم تأثره واستيائه من الحالة المزرية لمبنى المدرسة، ولفت نظر المسؤولين إلى ضرورة ترميم مباني المدرسة، وصدرت لاحقاً تعليمات بترميم هذه المباني. وقدرت كلفة الترميم (450000 يوان) قُدِّمَتْ بالتساوي من قبل الحكومة المركزية والإقليم والولاية.

ومن حيث أنه مسؤول حكومي كبير كان يمكنه الحصول على المبلغ بتوقيع كتاب يطلب المبلغ فيه. ومع ذلك فاجأ مرافقيه بأن تتقاسم تلك الجهات دفع المبلغ بالتساوي. فيما بعد اقترح (زهانغ بوكينغ) المسؤول في وزارة التعليم اهتمام الوزارة بالمشكلة. يقول: (أنا لا أوافق على إعطاء الأوامر كما أريد، ولم أوقع أبداً على كتاب بطلب المال؛ لأن عملي هو الإشراف على تطبيق سياسات الدولة، وتقديم الاقتراحات، وتحقيق الإصلاح والتطوير؛ والإجراءات الإدارية يجب أن تنشر للشعب والمؤسسات، ويجب تجنب الطرق العشوائية في الأداء؛ لأن توقيع هذه الفواتير بمئات الملايين من اليونات لهي أساس الفساد، وإذا نظرت على الأوراق التي وقعتها لن تجد شيئاً بمحض الصدفة أو غير مدروس. إن واجبي هو قيادة العمل، وأعتقد أن اتخاذ قرارات تخص اقتصاداً ضخماً وتقوي من إدارته لهو واجب الحكومة الأكبر. إنني مؤيد بلا شك لقانون الإدارة الذي صادق عليه المجلس الرابع لِلَّجنة الدائمة في مجلس الشعب الوطني العاشر. ويجب أن تكون الموافقات الإدارية والامتحانية تحت إشراف القانون .. لذلك لا أحد يملك السلطة باتخاذ أي قرار في أي قضية. ولا تُوَقّعُ الأوراق التي تطلب المال كما يريد صاحبها. لقد عملت حقبتين قصيرتين رئيساً لهيئة التعرفة الرسمية.. في البداية صار الناس يتصلون بي ظناً منهم أن لدي السلطة في استثنائهم من الضرائب أو خفضها بجرة قلم، وقد شرحت لهم أنني لا أمتلك السلطة في هذا الموضوع. ولا حتى رئيس الحكومة نفسه.. في أول اجتماع لهذه الهيئة قلت: إن مهمتها هي صياغة سياساً تَعْرِيْفيةً تضبط توقيع طلبات الإنفاق، أو قسائم تتجاوز الميزانية. وأخبرت(لي بينغ) و(زهو رونغي) عما قد قلته في اجتماع الهيئة، وسألتهما قائلاً: هل كنا نستطيع تفويض أحد من أعضاء الهيئة بهذا الأمر فأجابا (لا)، فكانت النتيجة عدم خَرْقِ هذه التعليمات طوال المدة التي توليت فيها رئاسة الهيئة. وقد كنا دائماً نعدل النسب حسب الخطة المركزية. وحققنا نتائج جيدة: حيث لم يتم فقط تقليص نسبة التعرفة لدفع التطور الاقتصادي والانفتاح، بل ارتفعت إيرادات التعرفة على نحو جيد، وهذا الهدف الذي كنا نصبو إليه في مهمتنا هذه.. إن مهمتنا الجديدة هي خفض عدد المشروعات التي يجب فحصها والموافقة عليها عبر إجراءات إدارية. وفي المستقبل كل هذه المشروعات ستكون بإشراف إجراءات قانونية، ولذا ويجب وضع آلية من أجل ذلك بأقصى سرعة ممكنة).

رجل لا يتغاضى عن أي خلل أو تقصير

كثيراً ما يشرح «لي» مواقفه من قضايا معينة بإعطاء أمثلة مستقاة من تجاربه الشخصية، ولا سيمّا فيما يتعلق بتحسين أوضاع المعلمين وإصلاح نظام التعليم. وقد ضرب لنا أمثلة كثيرة عن مساعيه لبناء مدارس جديدة وحل أزمة سكن المعلمين في الجامعة المركزية للأقليات وتنظيف البيئة غير الحضارية المحيطة بجامعتي بيكينغ وتستيغهوا. ومن أقواله: «لا أستطيع السكوت وغض الطرف عندما أرى خللاً أو تقصيراً».

بعد أن تسلّم «لي» ملف التعليم أولى مسألة السلامة في المدارس اهتماماً خاصاً. وحول هذا الموضوع يقول: «إني أعدّ أمن وسلامة تلامذة المدارس أمراً على قدر كبير من الأهمية، ولايوجد في نظري شيء أهم من حياة الإنسان؛ لذلك أشدد على مراعاة قواعد السلامة في المدارس». تبين هذه الكلمات حرص «لي» على مصالح الأمة وشعوره العميق بمسؤولياته تجاه المواطنين.

رجل صعب المراس ويعالج المشكلات من جذورها

يمثل «لي» هذا النوع من الرجال الذي يسعى دوماً إلى العودة إلى جذور أي مشكلة قبل معالجتها ولا يؤمن بأنصاف الحلول ويقول في هذا الشأن: «إن أي إجراء أتخذه يجب أن يكون منسجماً مع السياسات التي أقرتها الحكومة، ومنسجماً أيضاً مع قناعاتي الشخصية المبنية على دراسة متأنية للوقائع، ولا أسمح لأحد بالتستر على أي إهمال بقصد ذر الرماد في العيون». ويضيف:

«إننا ندير أكبر مؤسسة تعليمية في العالم، ويجب ألا ننسى أننا دولة نامية، ولهذا السبب نواجه عقبات عديدة، والكثير من هذه العقبات ذات طابع عملي وقد لا نعيرها اهتماماً إلا أنه ينبغي معالجتها الواحدة تلو الأخرى».

وفيما يخص عمل «لي» في المجال الثقافي فقد روى لنا عدة قصص عن التقصير في هذا الميدان من حيث قلة المرافق الثقافية كالمسارح والمكتبات والمتاحف، وكانت هناك عدة مشروعات مطروحة ولكنها لم ترَ النور.

قام «لي» بإعداد لائحة بهذه المشروعات وطلب من الدوائر المختصة عرضها على مجلس الدولة للتصديق عليها وكذلك متابعة المشروعات التي قيد التنفيذ. ومن هذه المشروعات ترميم القصر الإمبراطوري وتوسيع المتحف الوطني وتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع بناء المكتبة الوطنية وإنشاء المكتبة الرقمية وتوسيع المعرض الوطني للفن الصيني بالإضافة إلى ترميم عدد من الأبنية والصروح الأثرية المهمة.

ولعل أحد أبرز المشروعات الثقافية: توسيع المتحف الوطني ومتحف تاريخ الصين ومتحف الثورة الصينية، وكان هذا المشروع قد طُرح في أعقاب القرارات التي اتخذت في الدورة السادسة لاجتماع اللجنة المركزية للحزب عام 1996، ولكن المخطط الأولي للمشروع لم يُنجز إلا بعد سنوات لأسباب مختلفة. وعندما اطلع «لي» على حقيقة الأمر، أقدم بنفسه على زيارة موقع المشروع ليتفحص الأرض التي خصصت لبناء المتحف، ويقول: «لي» حول هذا الموضوع:

«بعد مضي خمس سنوات على وضع المخطط الإنشائي للمتحف الوطني من قبل هيئة تخطيط الدولة بقي موضوع اختيار الموقع موضع خلافٍ وأَخْذٍ وَردٍّ؛ إذْ اقترح بعضهم نقل وزارة الأمن العام إلى بقعة أخرى وبناء المتحف على بقعة الأرض التي تشغلها مباني الوزارة، في حين اقترح آخرون نقل موقع المشروع إلى منطقة أبعد قليلاً في اتجاه الجنوب، ولكنني عارضت على الفور الاقتراح الأول بصيغته المقترحة. وأخيراً وبعد التشاور مع بلدية بكين والهيئات المعنية في مجلس الدولة، وافقت وزارة الأمن العام على التخلي عن نصف المساحة التي تشغلها مباني الوزارة لمصلحة مشروع توسيع المتحف الوطني الجديد، وفي الوقت نفسه وافقت الحكومة على تشييد مبنىً لمكاتب الوزارة بدلاً عن المباني التي تخلت عنها».

«ولكن بعض الأطراف بقيت معارضة لهذا الحل وأصرت على نقل وزارة الأمن العام برمتها إلى بقعة أخرى، عندئذٍ توجهت إلى رئيس الحكومة جورونجي وقلت له: إن هذا المشروع قد درس على مدى سنوات وأن الجهات المعنية قد وافقت عليه واقترحت خطةَ توسيعِ المتحفِ على مجلسِ الدولة لمناقشتهِ والبت فيه. خلاصة القول: إن المجلس أقرَّ المشروع، ولولا ذلك لبقي تنفيذ المشروع معلقاً حتى اليوم».

وقد واجه «لي» وضعاً مشابهاً بعد إقرار مشروع إنشاء المسرح القومي الذي بقي معلقاً مدة خمس سنوات على الأقل، ولولا الجهود التي بذلها «لي» لدى بلدية بكين ولجنة تخطيط الدولة ووزارة الثقافة لما وافق مجلس الدولة على البدء في تنفيذ المشروع.

وفي كانون أول/ديسمبر من عام 2001 قام لي بجولة لتقصي الحقائق في أحد المواقع الأثرية في مقاطعة شانكسي، حيث يوجد مرقد الإمبراطور كينشهوانغ الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. وقد ثبت وجود بقايا تحف أثرية لا تزال مدفونة تحت التراب في البقعة المحيطة بضريح الإمبراطور، وفي أثناء زيارته لهذا الموقع الأثري اكتشف «لي» مدى الضرر والإهمال الذي لحق بهذه البقعة الأثرية، واحتمال أن يعمد بعض ضعاف النفوس إلى نبش هذه التحف وسرقتها، ولم يتردد لي في توجيه اللوم إلى كبار المسؤولين في المنطقة وأفهمهم أن هذا الإهمال سيكون له عواقب وخيمة إذا لم يتداركوا الموضوع لحماية هذا الصرح الأثري الذي لا يقدر بثمن، وأخيراً قرر لي: أن يأخذ على عاتقه القيام بما يلزم لإصلاح الوضع، وبعد التشاور مع نائب سكرتير مجلس الدولة ووزير العلوم والتكنولوجيا ولجنة تخطيط الدولة اقترح لي نقل السكان القاطنين ضمن حدود المنطقة الأثرية إلى مكان آخر وزرع أشجار وحشائش وتحويل الموقع إلى محمية أثرية.

وكان الهدف من ذلك في الدرجة الأولى حماية الآثار من اللصوص وفي الوقت نفسه حماية البيئة الطبيعية المحيطة بالموقع وبتكلفة صغيرة نسبياً، واقترح «لي» على وزير العلوم والتكنولوجيا أن تقوم وزارته بمسح للآثار المبعثرة تحت أرض الموقع باستخدام تقنيات وأدوات الاستشعار عن بعد.

وقد قبلت الجهات المختصة بالإضافة إلى وزارة الثقافة مقترحات «لي»، وأوعزت إلى السلطات المعنية بالبدء في تنفيذ هذه المقترحات، وتم حتى الآن إخلاء 170 أسرة من أصل 997، ونقل 22 مصنعاً من أصل 29 والعمل جارٍ على قدم وساق بفضل متابعة «لي» الحثيثة.

وفي أثناء رحلة تفقدية في آب/أغسطس عام 2000 إلى التيبت، زار «لي» قصر بوتالا الأثري وتبين له أن القصر مهدد بالانهيار إذا لم يُرَمَّمْ وتُصلحْ أساساته قبل فوات الأوان. وقد عدّ «لي» هذا القصر بمنزلة «كنز ثقافي وأثري للشعب الصيني ولأبناء التيبت على حد

سواء». وانطلاقاً من هذه الرؤية طلب من وزارة الثقافة وهيئة تخطيط الدولة ومديرية الآثار والسلطات المحلية في التيبت أن تقوم بمسح للأضرار، ومن ثم طرح خطة شاملة لصيانة هذا المعلم الأثري، وشدد على ضرورة الحفاظ على الطابع العمراني الأصلي لهذا القصر.

ومن ناحية أخرى أبدى «لي» اهتماماً كبيراً بأعمال الترميم الجارية لترميم القصر الإمبراطوري الذي لم يُرمم أو يُصْلَح منذ ما ينوف عن 400 عام. وقد تابع عمليات الترميم واستمع إلى تقارير العاملين، كما استعان بخبراء في هذا المجال. والجدير بالذكر أن «لي» دأب في أثناء زياراته لبلدان أجنبية على الاستفادة من خبرات هذه البلدان في مجال ترميم وصيانة المواقع الأثرية.

ويرى «لي» أن صرحاً أثرياً مثل القصر الإمبراطوري يمثل ثروة قومية، ويمثل جزءاً من التراث الثقافي العالمي، ويضيف «لي» إن ترميم القصر الإمبراطوري لا يعني الحفاظ على مظهره الحالي، وإنما يجب إعادته إلى صورته الأصلية أي كما كان في عصر الإمبرطورين كانغسي وكيانلونغ. ويعتقد «لي» أنه ليس من الصعب عمل ذلك، لا سيما أن الكثير من المصورات والملفات المتعلقة بهذا الموقع الأثري لا تزال محفوظة في القصرويمكن الرجوع إليها.

شارك «لي» في تعديل قانون حماية الآثار بعد دراسة مستفيضة للوسائل التي تضمن حماية المواقع الأثرية والمعالم الثقافية، وقد اقترح استبدال العبارة المتعلقة بحماية ترميم الصروح الأثرية بالعبارة الآتية: «بذل أقصى الجهود لحماية المناطق الأثرية بدءاً بإنقاذ المعالم الأثرية المهددة بالتلف واستغلالها بوصفها مرفقاً سياحياً وتحت إشراف جهاز إداري». ويصرعلى أن يتم ذلك خارج إطار مشروعات سياحية لا تستهدف سوى الربح، وفيما يخص صيانة وترميم القصور والمعالم الأثرية يقول: «ينبغي تجديد الصروح والأبنية الأثرية شريطة أن نحافظ على شكلها الأصلي. إن ترميم مبنىً أثري قديماً لا يعني الإبقاء على حالته الراهنة، وإنما إعادته إلى صورته الأصلية».

توفير الفرص لكل طالب يرغب في التعلم

يؤمن «لي» بإتاحة الفرصة وتوفير الظروف لكل طالب لتلقي العلم إذا كانت لدى هذا الطالب الرغبة في ذلك. وهو رجل عُرف عنه إيمانه الراسخ بأهمية التعليم وقناعته

بضرورة اعتماد إستراتيجية بعيدة المدى لتحقيق نهضة شاملة، وهذا ما سعى إليه «لي» بإخلاص وعزم لا يلين.

يعوِّل «لي» كثيراً على النتائج التي ستتمخض عن إصلاح التعليم وتطويره وفي آخر مقابلة لنا معه ختم حديثه بالقول: «لعل أفضل توصيف لما نسعى إليه يتمثل في ما قاله الرئيس جيانغ زيمين في خطابه بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس جامعة بكين في 8 كانون الأول / ديسمبر 2002 حين أعلن قائلاً:

«في أثناء السنوات القليلة الماضية طبقت لجاننا الحزبية والإدارات المحلية والرفاق العاملون في سلك التعليم إستراتيجية ترمي إلى تحقيق النهضة عبر تعزيز دور االعلم والتعليم، وقد تحققت بفضل جهودهم منجزات لا يستهان بها. وعلينا أن نواصل تطبيق هذه الإستراتيجية وألا ننحرف عن هذا المسار، وأن يكون هدفنا إعداد كفاءاتٍ تعمل على بناء الاشتراكية التي تُرَاعِي خصوصية الصين. وفي الوقت نفسه يجب العمل على إطلاق العنان لحرية الإبداع وتنمية الروح العلمية والسلوك الأخلاقي ونشر الوعي الثقافي بين الجماهير. إننا ملتزمون بتحقيق النهضة الشاملة، وهذا واجب تاريخي ينطلق من إيماننا بأنَّ العلمَ أحدُ أركان الاشتراكية».

وأخيراً أضاف (لي) قائلاً: «إني من أعماق قلبي ممتن لمعلمينا ولجميع العاملين في سلك التربية والتعليم ولكل من شارك ويشارك في دعم العمل التربوي.

تنويه

أتم «لي» المسوّدة الأولى من كتابه (التعليم) لـ 1,3 مليار وثلاث مئة مليون إنسان أوائل عام 2003، وبعد تدقيقها سلمها إلى أعضاء هيئة التحرير ليتحققوا من الأرقام وليثبتوا بعض التفاصيل. وتلا ذلك سلسلة من الاجتماعات مع الكاتب، دفعته إلى مراجعة بعض النصوص قبل إرسال النسخة النهائية للمطبعة.

تكونت هيئة التحرير من (لي لانكينغ) معاون وزير التعليم السابق، والمدير العام لقسم التعليم الأساسي في الوزارة و(بي كوانجونغ) أحد كبار مراسلي صحيفة الشعب اليومية والمختص رئيس المفتشين في التعليم و(يي هونجو) كبير المراسلين في وكالة الأنباء الصينية (شينوا) و(جايي بو) نائب رئيس التحرير في صحيفة China Education Daily.

في أثناء إعدادنا لنشرهذا الكتاب تلقينا دعماً من عدة جهات ومسؤولين حكوميين كبارٍ ورؤساءً جامعات، وخبراءَ وقد استفدنا من مقترحاتهم وآرائهم القيمة. كما زودنا بكنز من المعلومات كل من موظفي المكتب العام لمجلس الدولة ووزارة التعليم ووزارة العلوم والتكنولوجيا والمديريات والمنظمات المعنية والسلطات المحلية. وقد بذلت دار الشعب للطباعة والنشر جهوداً كبيرة في إعداد الكتاب قبل نشره. أما الصور الفوتوغرافية فقد زودتنا بها وكالة الأنباء الصينية (شينوا) وصحيفة China Education Daily، وبعض المنظمات الأخرى. وفي النهاية نتوجه لهم جميعاً بالشكر.

هيئة التحرير

18كانون الأول/ديسمبر 2003

蓓蕾之歌

阳光明媚春风吹，大地一片青翠。今日幼苗未来绿荫，桃李满园源自蓓蕾。辛勤耕耘十年收，精心培育盼硕果。十年收硕果献给您。祖国未来更美丽。十年收硕果献给您，祖国未来更美丽。

为一九九九年第三次全国教育工作会议期间举办的艺术歌曲音乐会而作

李岚清

癸未秋月

أغنية البراعم

الشجيرات الغضة الخضراء تكسو المروج

يعانقها دفء الشمس نسيم الربيع

نعم، ستكبر هذه الشجيرات لتصير شجرات الغد الزاهرة

الدراق اليانع والخوخ سيولد من هذه البراعم الطفلة

لنعتني ببذورنا، ونحرث الحقول

من أجل وطن أجمل وغلال أوفر

- مهداة إلى مهرجان الأغاني الفنية التي أقيمت في أثناء المؤتمر القومي الثالث للتعليم عام 1999.

蓓蕾之歌

混声合唱

李岚清 词曲

杜鸣心 配伴奏

精心 培育盼硕果。 丰收硕果 献给您。 祖国未来
更美丽。 啊 啊
阳光明媚 春风吹。
啊 啊 啊 啊
大地一片 青翠。 今日幼苗未来绿阴。 桃李满园

辛勤耕耘望丰收，
精心培育盼硕果，
源自蓓蕾，
丰收硕果献给您，
祖国未来更美丽，
f
阳光明媚春风吹，
大地一片青翠，
mf
阳光明媚，大地青翠，
mf

今日幼苗未来绿阴，
桃李满园
辛勤耕耘
望丰收，精心培育盼硕果，
丰收硕果献给您。
祖国未来更美丽，
meno mosso
rit.
祖国未来更美丽！

西泠印社：來函已悉。

余少年時代喜好篆刻，曾购青石數方，刻刀一把，無师自学胡刻一通，刻完就磨，磨平再刻，不成体统，兴趣而已。自上世纪五十年代末入大学后，已五十余载与金石無缘矣。数年前访问貴社時忽萌遐想，自思他日退休，不知是否尚能重拾旧趣？适逢今年為貴社百年華誕，遂操刀试刻《科教兴国》、《振兴中華》各一方，以表祝賀。然终因無科班功底，再加已年逾古稀，目力不濟，实為献丑，望不吝賜教為感。

李嵐清

二〇〇三年九月八日